أسباب البدعة وآثارها من منظور القرآن الكريم

د. عفاف عبد الغفور حميد

أستاذ مشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية،

قسم أصول الدين بجامعة الشارقة.

من ١٣٣٩ إلى ١٣٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أسباب البدعة وآثارها من منظور القرآن الكريم

ملخص البحث

لقد كان الهدف من إرسال الرسل هداية البشرية للنجاة بها من الشرك والمعاصي، وصيانة عقل الإنسان من الأوهام والخرافات، وكان من مقاصد الشريعة الإسلامية العبادة القائمة على عقيدة صافية خالية من البدع والفساد، يطابق فيها العمل الإيمان والفعل القول، وبالطبع فإن كل مسلم حريص على أن يكون عمله موافقاً للشرع غير مخالف له، ولا يتم ذلك إلا بتمام الاتباع لما جاء به الرسول ﷺ وترك المخالفة من زيادة أو نقصان، ولكن من طبيعة الإنسان الخطأ، والوقوع في المعاصي – خلال البدع – في مجالات الدين كلها اعتقاداً وقولاً وعملاً. وهكذا أصاب المسلمين ما أصاب غيرهم من داء الأمم في الزيغ عن المنبع الصافي، فضلاً عن التقليد المذموم واتباع سنن من قبلهم.

وظهور البدع من ضمن ما ابتلي به المسلمون قديماً وحديثاً، وكان له الأثر الكبير في انقسام الأمة وتمزقها إلى طوائف ومن ثم ضعفها وتمكن أعدائها منها.

ولقد اشتهر عند الصحابة والتابعين وأهل العلم المقابلة بين السنة والبدعة وقالوا: ما أحدث قوم بدعة إلا أضاعوا مثلها من السنة، وعلى هذا لا بد للمسلم أن يملك المعيار الصحيح الذي يمكنه بوساطته التعامل مع المسائل التي تواجهه في حياته، وفي حكمه على عمله وأعمال الآخرين، ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث لمعرفة أمرين اثنين هما: بيان أسباب وقوع البعض في البدع، وبيان آثار هذه البدع على الفرد والمجتمع المسلم.

والبحث يقع في تمهيد ومبحثين وخاتمة: التمهيد في مفهوم البدعة

المبحث الأول: أسباب البدعة من منظور القرآن الكريم

المبحث الثاني: أضرار البدعة وآثارها من منظور القرآن الكريم

الخاتمة: النتائج التي توصل لها البحث

والله الموفق

التمهيد: مفهوم البدعة

المعنى اللغوي والاصطلاحي للبدعة:

البدعة لغة: تطلق البدعة في اللغة على معنيين:

الأول: الاختراع على غير مثال سابق، وهو المناسب لموضوع بحثنا.

الثاني: التعب والكلال، يقال: بدعت الإبل إذا بركت في الطريق من هزال أو داء أو كلال[1].

وجاء على المعنى الأول في كتب اللغة الأخرى، منها كتاب العين: "البدع: الشيء الذي يكون أولاً في كل أمر كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ﴾ الأحقاف: ٩، أي: لست بأول مرسل.

والبدعة: اسم ما ابتدع من الدين وغيره... وما أحدث بعد الرسول ﷺ من أهواء وأعمال، ويجمع على البَدَع[2].

ويشهد للمعنى الأول قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ البقرة: ١١٧، أي: مخترعها من غير مثال سابق[3].

كما أن الأصل اللغوي الأول يتفق تماماً مع البدعة بالمعنى الشرعي الذي يأتي لاحقا في المعني الاصطلاحي. ويسمى الفاعل للبدعة: المبتدع، والجمع: البدع.

المعنى الاصطلاحي:

للعلماء تعاريف كثيرة منها: قال ابن منظور: "الحدث، وما ابتدع من الدين بعد الإكمال"[1].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ٨/٧-٨، والصحاح للجوهري، ١١٨٣/٣-١١٨٤، ومعجم مقاييس اللغة ٢٠٩/١-٢١٠.

[2]- العين، ٥٤/٢- ٥٥.

[3]- علي محفوظ، الإبداع في مضار الإبتداع، ص ٣١.

وعرّفها ابن رجب فقال: "المراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغة[2].

ويعرفها الشاطبي بتعريفين:

الأول: "طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه"، والآخر: "طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية"[3].

فالتعريف الأول يخص البدعة بالعبادات، على رأي من لا يدخل العادات فيها، وأما التعريف الثاني فهو عام في العبادات والعادات.

أما الشافعي فيقول: "البدعة بدعتان: بدعة مذمومة، وبدعة محمودة، فما وافق السنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم"[4]. ويزيد في تعريفها وضوحا فيقول: المحدثات من الأمور ضربان: أحدهما: ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً فهو بدعة الضلالة. والثاني: ما أحدث من الخير لايخالف شيئاً من ذلك فهذه بدعة غير مذمومة[5].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب ٦/٨، ومثله صاحب القاموس المحيط وزاد: "... وما استحدث بعد النبي من الأهواء" ٣/٣.

[2]- ابن رجب، جامع العلوم والحكم ص ٢٣٣.

[3]- الشاطبي، أبو اسحق إبراهيم بن موسى، *الاعتصام*، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٠م، ٢٨/١.

[4]- ابن حجر، فتح الباري ٢٥٣/١٣.

[5]- ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، في كتاب الاعتصام بالقرآن والسنة، ١٣٥/١٣.

وعلى ذلك بنى شيخ الإسلام عز الدين ابن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، وتلميذه الإمام شهاب الدين القرافي (ت ٦٨٤هـ)، مذهبهما في تقسيم البدعة كما سيأتي في مبحث أقسام البدعة.

أما ابن تيمية فيفصّل في التعريف فيقول: "البدعة في الدين: هي ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب، ولا استحباب... فأما ما أمر به أمر إيجاب، أو استحباب، وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية، فهو من الدين الذي شرّعه الله، وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك، وسواء كان هذا مفعولاً على عهد النبي ﷺ أو لم يكن[1].

وقد عرف الحافظ ابن حجر البدعة الشرعية بقوله: "ما أحدث في الدين وليس له دليل عام ولا خاص يدل عليه"[2].

مناقشة التعريفات:

عند مقارنة هذه التعريفات نجد أن تعريف ابن منظور وما شابهه خاص بالبدعة الشرعية أو التعبدية على الخصوص ولم يتطرق إلى بدعة العادات.

وابن رجب يقسم البدعة إلى شرعية ولغوية، فيخرج ما أطلق عليه بدعة وليس ببدعة لأن له أصلاً –كصلاة التراويح التي أطلق عليها عمر بن الخطاب ﷺ لفظ البدعة– ولو أن له أصلاً ثابتاً منقولاً عنه ﷺ للجدة والحدوث في بعض جوانبه، كما يلتقي تعريف ابن رجب مع تعريف الشافعي في تقسيم البدعة إلى بدعة ضلالة وبدعة غير مذمومة.

وتعريف الشافعي – كما عند ابن رجب– أشبه بالتقسيم منه بالتعريف، حيث جعلا المحمود هو البدعة اللغوية، والمذموم هو البدعة الشرعية، وزاد الشافعي

---

[1]– ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٤/١٠٧–١٠٨.

[2]– ابن حجر، فتح الباري، ١٣/٢٥٤.

تقسيمه وضوحاً حيث يرى أن البدعة الضالة هي: التي تخالف الكتاب والسنة والإجماع والأثر[١]. وأوضح ابن تيمية أنه لا يلزم من الأمر المشروع أن يعمل به في عهد الرسول ﷺ.

أما تعريف الشاطبي الأول ففيه قيد المبالغة في التعبد وهو قيد خاص بنوع من المبتدعة وليس على العموم، فقد ينصرف إلى أهل البدع التعبدية ولا يلاءم بقية أنواع البدع، وأما تعريفه الثاني فهو عام للعبادات والعادات، ونص في الاثنين على (المضاهاة للشرعية)، وهي على رأي البعض "ليس بلازم للبدعة، ولكنه قد يقصد من المبتدع نفسه، فكم من مبتدع لا يقصد المضاهاة أصلاً فترد عليه تبعاً"[٢]، كما أنه خصّ البدعة الشرعية دون اللغوية.

وهناك تعريفات أخرى كثيرة تقارب ما ذكرناه، ومن خلال هذه التعريفات نجد أن كلاً منها يركز على جانب من جوانب البدعة أو قسم من أقسامها، إما الشرعية أو التعبدية أو العادية.

وعلى هذا فإذا ما أردنا تعريفاً عاماً شاملاً للبدعة الشرعية واللغوية فهناك تعريف ابن حجر الذي يقرر أنها: "كل شيء ليس له مثال تقدم"، فيشمل لغة: ما يحمد ويذم، ويختص في عرف الشرع بما يذم، وإن وردت في المحمود فعلى معناها اللغوي[٣]، وهو يشمل كل المعاني اللغوية للبدعة والتي تعود إلى: الابتداء، والإنشاء، والاختراع، والجدة، والحدوث، والأولية.

---

[١]- رواه البيهقي في المدخل، مناقب الشافعي، ٤٦٩/١، وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٢٦٧/١٣.

[٢]- القرني، عائض بن عبد الله، البدعة وأثرها في الدراية والرواية، بيروت: دار ابن حزم ٢٠٠٣م، ص ١٣.

[٣]- ابن حجر، فتح الباري، ٢٥٣/١٣، وقد اختار هذا التعريف الشيخ القرني، لعمومه وشموله لكل الأنواع.

ونظراً لكون موضوعنا أقرب إلى البدعة الشرعية، لمخالفتها السنة فيكون تعريف الشاطبي هو أقرب هذه التعريفات لمادتنا، كما أن أكثر كلام العلماء يدور حول تعريفه، ولذلك رأينا أن نتناوله بشيء من التوضيح.

وهناك تعريفات اصطلاحية أخرى حديثة تجمع بين التعريفات السابقة منه تعريف السعدي حيث يقول: "إحداث فعل أو اعتقاد أو قول لم يرد به إذن من الشارع في كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس، ولم يدخل تحت القواعد والمبادئ العامة للإسلام، أو إحداث ما يعارض ذلك ويخالفه"[١].

[١]- السعدي، عبد الملك عبد الرحمن، البدعة في المفهوم الإسلامي الدقيق، ص ٧.

المبحث الأول: أسباب البدعة من منظور القرآن الكريم

تمهيد: البدعة والمبتدع في القرآن الكريم

الآيات التي تدل على وجوب التمسك بالكتاب والسنة، وتحذر من الانحراف عنها، ويفهم منها ذم البدعة والمبتدع كثيرة جداً منها:

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ...﴾ آل عمران: ٧. لقد بينت الآية صنفين من المسلمين، الأول هم الراسخون في العلم، والآخر من ليس براسخ في العلم وهو الزائغ، والزيغ: هو الميل عن الصراط المستقيم وهو ذم لهم، وحين خص النص أهل الزيغ باتباع المتشابه دلّ على أن الراسخين في العلم لا يتبعونه.

وقد جاء تفسيرها في حديث المصطفى ﷺ كما روت عائشة أنه تلا هذه الآية ثم قال: "فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم"[١].

وعن ابن عباس تفسيرها حين ذكر الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن فقال ﷺ: "يؤمنون بمحكمه ويضلون عند متشابهه وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به"[٢].

[١]- البخاري، كتاب التفسير، باب منه آيات محكمات، ١٦٦/٥، ومسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ٢٠٥٣/٣، وأبو داود في كتاب السنة، باب النهي عن الجدال واتباع المتشابه من القرآن ٦/٥، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران ٥/ ٢٢٣، وابن ماجة في المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل ١٨/١-١٩.

[٢]- الآجري ٢٧، ومختصر تفسير ابن كثير، ٢٦٤/١.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ١٥٣، فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي أمر به، والسبل هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم، وهم أهل البدع.

يفسر الآية ما رواه ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ: "خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً"، قال: ثم خطّ عن يمينه وعن شماله ثم قال: "هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ..﴾[١] وعن مجاهد في قوله: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ﴾ قال: البدع والشبهات[٢].

وأرشدت الآية " إلى أن كل ما بينه الرسول ﷺ من دين الإسلام هو المنهج القويم، والصراط المستقيم، وأرشدت أيضاً إلى وجوب الاتحاد بين المؤمنين والتلاقي بينهم على ما أمر الله به، والتحذير من الاختلاف والفرقة، واتباع غير سبيل الله، وأن الله أهلك الأمم السابقة بالمراء والخصومات ودلت الآية أيضاً على أن كل ما كان حقاً فهو واحد.[٣]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ الأنعام: ١٥٩.

---

[١]– روا أحمد في المسند، ٤٦٥/١، والنسائي، السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة النساء وقوله تعالى"وأن هذا صراطي مستقيما .."٣٤٣/٦، ح (١١١٧٥)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، ٢٦١/٢، ح (٢٩٣٨) وصححه.

[٢]– أخرجه الدارمي في المقدمة، باب كراهية أخذ الرأي ح(٢٠٣) ٧٩/١.

[٣]– الزحيلي، وهبة ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٤٦٠/٨.

وقد جاء تفسير هذه الآية في حديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "ياعائشة (الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً) من هم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "هم أصحاب الأهواء وأصحاب البدع والضلالة من هذه الأمة"[١].

والأدلة على وقوع التفرق والعداوة عند وقوع الابتداع كثيرة وأولها ما وقع من الخوارج حين عادوا أهل الإسلام واستحلوا قتلهم مع تركهم لأهل الأوثان، وصدقت عليهم نبوءة رسول الله ﷺ في قوله: "سيخرج قوم في آخر الزمان حداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة"[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ النحل: ٩، وعن مجاهد قال: "قصد السبيل" طريق الحق، وما سواه جائر عن الحق عادل عنه[٣] وهي طرق البدع والضلالات وكل ما حاد عن الحق.

---

[١]- رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٢، وابن الجوزي في العلل المتناهية ١٣٧/١، والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٣٦٦.

[٢]- رواه البخاري في كتاب الديايات باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ٢٥٣٩/٦، ح(٦٥٣١)، وأحاديث الأنبياء، باب ٦، والمناقب، باب ٢٥، والمغازي، وفضائل القرآن، والأدب، والتوحيد، والاستتابة، ورواه مسلم في كتاب الزكاة ح(١٤٢-١٥٩)، والنسائي، السنن الكبرى، باب ذكر ما خص به علي من قتال الخوارج، ١٦٣/٥، ح(٨٥٧١)، وأبو داود في السنة باب ٢٨، والترمذي في الفتن باب ٢٤، وابن ماجة والدارمي وأحمد ومالك وغيرهم.

[٣]- ابن كثير، تفسيره المختصر للصابوني، ٣٢٤/٢.

ويمكن الاستدلال على إنكار البدع والنهي عنها بكل الآيات التي توجب اتباع الرسول ﷺ والتي تفيد حجية السنة، وتحث على طاعته والتحذير من مخالفته لأن المبتدع مخالف للسنة.

وكذلك الآيات التي تدعو إلى الابتعاد عن أهل الأهواء، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ..﴾ الأنعام: ٦٨.

وجاءت أحاديث رسول الله ﷺ تؤكد على النهي عن البدع وذم المبتدع منها: عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته: "أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"[١].

وزاد النسائي: "وكل ضلالة في النار"، وعند ابن ماجة مرفوعاً وموقوفاً على ابن مسعود جاءت الرواية بصيغة التحذير: "إياكم ومحدثات الأمور...".

وعن العرباض بن سارية قال: "صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة لولاة الأمر، وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا

---

[١]- رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٢/٢-٥٩٣، والزيادة في رواية النسائي، كتاب العيدين، باب كيفية الخطبة ح(١٥٧٧)، ٢٠٩/٣-٢١٠.

عليها بالنواجذ[١]، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"[٢].

وللسلف الصالح والعلماء أقوال كثيرة تؤكد على أن الخروج عن الاتباع لسنة النبي ﷺ توقع في الابتداع، مع الذم لصاحبها، كما أن الأدلة العقلية ترد البدعة باعتبارها استدراك على الشريعة واتهامها بالنقص.

إن المتتبع لموضوع البدع وأحوال المبتدعين لا بد أن يظهر له أن وراء ذلك أسباباً كثيرة يصعب حصرها، ولا بد من الوقوف عليها قدر المستطاع إذا أريد معالجتها والحد منها، لأن أول العلاج معرفة الداء وأسبابه، لكي يتمكن أفراد الأمة وجماعاتها من التنبه لها.

وقد تناول العلماء الذين بحثوا في هذا الموضوع أسباباً كثيرة، وقبل أن يشرعوا بذلك ذكروا أن شطراً من تلك الأسباب هو سبب قدري أزلي من الله سبحانه وتعالى لحكمة أرادها، فلو شاء ما وقعت تلك الفتنة التي مزقت الأمة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ هود: ١١٨-١١٩، كما ذكروا أن الشطر الثاني من تلك الأسباب هو كسبي من عمل الإنسان، وفي هذا المبحث سوف أتناول الأسباب ضمن الشطر الثاني وهو (الكسبي) لأنها المقصودة بالدراسة، ومع كثرة الأسباب إلا أنها جميعاً تعود إلى أساسين رئيسين هما: أما الزيادة في الدين بما ليس منه، وإما النقص منه بنفي أو إهمال بعض ما هو منه – بتأويل أو تمويه– أو كذب.

---

[١]- النواجذ: الأضراس من الأسنان، وقيل الأنياب، والعض: المسك بجميع الفم، فكأنه يقول: "الزموا السنة واحرصوا عليها كما يحرص العاض على الشيء بنواجذه خوفا من ذهابه وتفلته".

[٢]- اخرجه أبو داود في السنن باب٥، والترمذي في العلم باب ١٦، وابن ماجة في المقدمة، باب ٦، والدارمي في المقدمة، باب ١٦، وأحمد في المسند ١٢٦/٤، ١٢٧.

ومن أهم الأسباب ما يأتي:

أولاً - الجهل:

الجهل يؤدي إلى ظهور أنواع كثيرة من الابتداع، والجهل أنواع أهمها:

١- الجهل بكلام العرب وأساليبهم في الخطاب: لقد أنزل الله القرآن الكريم بلغة العرب، وتربى الرسول ﷺ في أرقى البيئات العربية من ناحية الفصاحة والبلاغة، فكانت اللغة العربية لغة الرسالة ووسيلة التبليغ، وبهذا جرت سنة الله تعالى في رسالاته، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ الحديد: ٤، وقد أكدت الآيات عربية القرآن، فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: ٢، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾ الرعد: ٣٧. وقال كذلك:﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ الشعراء: ١٩٣-١٩٥، وقد تحدى القرآن معارضيه بعربيته وفصاحته بمراحل متعددة فعجزوا وهم أهل اللغة.

وللعربية أسرارها وخصائصها ومميزاتها التي يصعب الإحاطة بها لما فيها من تنوع في التعبير، يقول الشافعي في رسالته: "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً، ولا يحيط بجميع علمه – فيما نعلمه – إنسان غير نبي"[١]، فمن القرآن ما هو عام ويدخله الخصوص، وفيه ما يدل لفظه على باطنه دون ظاهره كما في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ يوسف: ٨٢، والمقصود: أهل القرية، وفيه الحقيقي والمجاز والتشبيه والبديع وغير ذلك من ألوان البلاغة، قال الآلوسي في ذلك: "وسؤال القرية عبارة عن سؤال أهلها، أما

---

[١]- الشافعي، الرسالة ص ٢٧. تحقيق محمد سيد كيلاني ط: الحلبي سنة ١٩٦٩.

مجازا في القرية لإطلاقها عليها بعلاقة الحالية والمحلية، أو في النسبة أو يقدر فيه مضاف وهو مجاز أيضا..[١]

وفي مجال الحديث عن البدعة بسبب الجهل بهذا اللسان، نستطيع أن نقول: إنه كما يجب على المجتهد في الدين أن يبحث ما وسعه البحث عن النصوص التي يستند إليها ويتفقه فيها، فإن عليه أن يدرس اللغة العربية ما وسعه الجهد، فيما يتصل بموضوع البحث والاجتهاد، وإلا انحرف عن الدين ووقع في الابتداع[٢]، وقد شدد السلف على هذا المعنى، قيل للحسن: "أرأيت الرجل يتكلم العربية ليقيم بها لسانه ويصلح بها منطقه؟ قال: نعم فليتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك"[٣].

وقد جعل العلماء لزاماً على كل من أراد أن ينظر في الكتاب والسنة أن يتعلم لسان العرب الذي به أديت ونقلت نصوص الشريعة، وأن ينظر في أساليبهم واستعمالاتهم[٤]، كما عد العلم بأساليب العرب وبلاغتهم من أول الشروط المطلوبة للمفسر، بل حتى العرب أنفسهم كانوا يبحثون في وجوه كلام العرب، فهذا ابن عباس رضي الله عنه يقول:" كنت لا أدري ما "فاطر السموات والأرض" حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها أي أبتدأتها[٥].

---

[١]- الآلوسي، شهاب الدين محمو، تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٣٨/١٣.

[٢]- عزت عطية، تحديدها وموقف الإسلام منها ص ٢٤٣.

[٣]- الشاطبي، الاعتصام: ٤٩٨/٢.

[٤]- انظر مقدمة تفسير الطبري ٧٥/١، والشافعي في الرسالة، ٤٢-٥٣، والشاطبي في الاعتصام ٤٩٩/٢.

[٥]- ابن كثير، تفسيره (المختصر) ١٣٨/٣.

عندما ينظر إلى كلام المبتدعة نجد فيه الخروج على لسان العرب واستعمالاتهم، أو الأخذ بالشاذ منها، وقد وقع كثيرون في بدع بسبب الجهل بلسان العرب أو تجاهله، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

من ذلك تأويل حديث النبي ﷺ: "إنما قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن"[1] إلى أن المراد بالإصبعين "قدرتين" ولهذا قال الدارمي: "فهذه ألفاظ رسول الله ﷺ في الحديث الذي بينته ورويته بلسان عربي مبين، ففي أي لغات وجدت أنها قدرتين من القدر! وهل من شيء ليس تحت قدرة الله التي وسعت كل شيء حتى خص رسول الله ﷺ القلوب من بينها بقدرتين؟ –إلى أن قال عن الجهمي– فقال: إصبعاه: نعمتاه، قال: وهذا جائز في كلام العرب

ومن ذلك استدلال الخوارج بقوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ﴾ يوسف: ٤٠، ٦٧ على أنه لا يجوز تحكيم أحد في كتاب الله، وما علموا بالأسلوب العربي في الكلام من حيث الإجمال والتفصيل والإطلاق والتقييد، ولذلك أعرضوا عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا﴾ النساء: ٣٥، وقوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ المائدة: ٩٥، وقد احتج ابن عباس بهذه الآيات في مناظرته للخوارج[2].

ومن الجهل سوء الفهم للنصوص، مثل استدلال الخارجي على أن أهل الكبائر في النار يوم القيامة بقوله تعالى:﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ

---

[1]– أخرجه الإمام أحمد في مسنده، بلفظ "إنما قلوب العباد"، ١٨٢/٤، ح(١٧٦٦٧)، وسنن النسائي الكبرى، باب ولتصنع على عيني، ٤١٤/٤، ح(٧٧٣٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد، ٢١١/٧، ونسبه إلى الطبراني في الأوسط، وجاء بمعناه قوله ﷺ: "ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن" أخرجه ابن ماجة في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٧٢/١،

[2]– انظر: جامع بيان العلم، ١٢٧/٢.

الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ﴾ الأعراف: ٨-٩، فقال: إن المراد في الآية أن من خفت موازينه فهو كافر، والمعلوم أن موازين أهل الكبائر قد خفت فيجب أن يكونوا كفرة، ومثله استدلاله بقوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ سبأ: ١٧٨، فقال الخارجي: لا شك بأن صاحب الكبيرة مجازى، فيجب أن يكون من الكفرة[١].

يقول الشيخ رشيد رضا في هذا المجال: "إن إقامة دين الإسلام متوقفة على لغة كتابه المنزل، وسنة نبيه المرسل، سواء في ذلك هدايته الروحية، ورابطته الاجتماعية، وحكومته العادلة المدنية، وإن المسلمين لم يكونوا في عصر من العصور أحوج إلى الوحدة المفروضة عليهم المتوقفة على هذه اللغة منهم في هذا العصر الذي تمزقوا فيه كل ممزق.."[٢].

٢- الجهل بالسنة: ويشمل الجهل بهذا الجانب شيئين:

أولهما: الجهل بقواعد التمييز بين الأحاديث المقبولة وغيرها، وعلم مصطلح الحديث، وقد نشأ عنه الأخذ بالأحاديث المردودة المكذوبة والضعيفة، والاعتماد عليها مصدراً من مصادر التشريع، والحكم على الدين – بسبب ذلك – بالتعارض والاختلاف، أو منافاة العقل، وعدم التناسب والانسجام بين تعاليم الدين ومقتضيات العقول[٣].

أما بالنسبة للأحاديث الموضوعة فقد اتفق العلماء – عدا فرقة الكرامية المغالية – على عدم جواز الأخذ بها أو روايتها ولا حتى في فضائل الأعمال، إلا

---

[١]- انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ٧٢٥، نقلاً عن الغامدي، ٣٤٩/١.

[٢] – رشيد رضا، تفسير المنار، ٣١٣/٩.

[٣]- عزت عطية، ص ٢٤٥.

علىٰ سبيل التنبيه إليها علىٰ أنها مكذوبة علىٰ رسول الله ﷺ وقد نبّه علىٰ ذلك فقال: "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"[١].

أما الحديث الضعيف فقد اتفق العلماء علىٰ عدم استعماله، وأجاز بعضهم الاستشهاد به في فضائل الأعمال بشروط، علماً إن الحديث الضعيف في درجات وله أقسام، فما كان ضعفه بسبب كذب الراوي يرد الحديث، أما إذا كان لضعف حفظ الراوي الصدوق فإنه يزول بمجيئه من طرق أخرىٰ. وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن للأخذ بالحديث الضعيف في الفضائل – عند من أجاز – ذلك ثلاثة شروط:

١- أن يكون غير شديد الضعف.

٢- أن يندرج تحت أصل معمول به.

٣- أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الاحتياط.

وقد فصّل العلماء – بمؤلفات كثيرة – أنواع الحديث وأقسامه، كما كتبوا ونبّهوا علىٰ الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأسبابها، والجرح والتعديل وعلم الرجال، كل ذلك من أجل معرفة الدين لأن الأحاديث هي المصدر الثاني للدين الإسلامي.

يقول الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: "واعلم وفقك الله أن الواجب علىٰ كل أحد – عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها، وثقات الناقلين لها من

[١]- رواه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب علىٰ النبي ﷺ، ٥٢/١، ح(١١٠)، ومسلم بشرح النووي ٦٦/١، وأبو داود ١٢٥/٧، كما رواه كل من الترمذي، والدارمي وابن ماجة وأحمد.

المتهمين- أن لا يروىٰ منها إلا ما عرف صحة مخارجه والستارة في ناقليه، وأن يتقي ما كان منها عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع"[١].

وبالجملة فالعلم بقواعد الحديث يتم علىٰ أساسها الحكم علىٰ الحديث بالقبول أو الرد.

والآخر: الجهل بمكانة السنة من التشريع، وهذا الجهل أدىٰ إلىٰ الخروج عن حد الإتباع الذي وجهت إليه الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة، ومن أظهر المواقف الشائعة فيما يتصل بهذا الموضوع، إنكار ما ثبت بالسنة الصحيحة صريحا واضحاً تحت زعم موافقة العقل، والسير تبعاً لما يقتضيه، مثل إنكار رؤية الله في الآخرة أو نزول المسيح، أو عذاب القبر، ونحو ذلك، مما له أدلة في الصحاح.

فمن المبتدعين من أنكر ما عدا القرآن جملة وتفصيلاً وقالوا بالاكتفاء بالقرآن بدعوىٰ دخول الوضع في الحديث، ومنهم من أنكر أحاديث الآحاد، وقد شذّ هؤلاء وهؤلاء للعلاقة الوثيقة بين القرآن وبيانه في السنة النبوية ، كما أن أكثر الفقه من أحاديث الآحاد.

وهذا يعني جهلاً أو تجاهلاً بمكانة السنة في التشريع الإسلامي، لأن القرآن يرد عليهم هذه الدعوىٰ لوجود عشرات الآيات التي توجب طاعة الرسول ﷺ وعدم الخروج علىٰ توجيهاته.

والناظر في كثير من البدع يجد أن أساسها الأخذ بالرأي مع وجود النص، والتعلل بما يمليه الهوىٰ أو التكلف أو ما إلىٰ ذلك من الأمور، وليس أدل علىٰ ذلك بما فعله المعتزلة وغيرهم، بكل من عارض أفكارهم وموقفهم من النصوص.

---

[١]- الإمام مسلم، صحيح مسلم، المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين، والتحذير من الكذب علىٰ رسول الله ﷺ.

وعليه فالجهل بعلوم الحديث، وصحة الحديث يترتب عليه إهدار الأحكام التي جاءت بالأحاديث الصحيحة، كما أن الجهل بمكانة السنة يؤدي إلى إحلال البدع مكان السنن الصحيحة.

٣- الجهل بمقاصد الشريعة، لما أخبر الله سبحانه وتعالى عن إكمال الدين، فإن المستجدات من الأمور والتي تسمّى النوازل لا بد أن يكون لها حكم بالقبول أو الرد من كليات الدين وقواعده الأساسية التي تنتظم كل الجزئيات الحادثة.

وقول الرسولﷺ : "إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"[١] يمثل قاعدة شرعية تصوغ لنا مقاصد شرعية أغفلها المبتدعة منها:

أ- النظر إلى الشرع بعين الكمال وليس النقص، فالزائد في الشريعة والمنقص منها هو المبتدع، وإغفال هذا المقصد الشرعي يجعل المبتدع يستدرك على الشريعة.

ب- الإيقان بأن لا تضاد بين آيات القرآن، ولا بين الأخبار النبوية، ولا بين أحدهما مع الآخر، بل الجميع جار في مسار واحد، ومنتظم في نظام واحد[٢].

وإغفال هذه الحقيقة وترك هذا اليقين جعلت المبتدعة يتخبطون ويعرضون عن بعض ما شرع الله وضربوا كتاب الله بعضه ببعض، مثال ذلك ما رواه البخاري في صحيحة معلقاً عن المنهال عن سعيد قال: قال رجل: "إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ فقال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾ المؤمنون: ١٠١، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ﴾ الصافات: ٢٧، ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً﴾ النساء: ٤٢، ﴿رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ الأنعام: ٢٣ "فقال: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في النفخة الأولى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ﴾ الزمر: ٦٨، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا

---

[٢]- الشاطبي، الاعتصام ٢/٥٠٦.

يتساءلون، ثم في النفخة الأخرىٰ أقبل بعضهم علىٰ بعض يتساءلون. أما قوله: ﴿رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً﴾ فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقول: لم نكن مشركين، فختم علىٰ أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثاً، وعنده ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً﴾ النساء: ٤٢"[١]، وذكرت الرواية أمثلة أخرىٰ مشابهة في توهم التضاد بين آيات القرآن

ثانياً– إتباع الهوىٰ:

من الأسباب الخطيرة في انتشار البدع بين المسلمين إتباع الهوىٰ، وذلك لأن الشيطان يزينها لهم ويحسنها فيؤمنوا بها وتستقر في قلوبهم وعقولهم خاصة إذا التقت مع الجهل وقلة العلم.

الهوىٰ: يطلق علىٰ ميل النفس وانحرافها نحو الشيء، ثم استعمل في العمل المذموم والانحراف السيئ فيقال: اتبع هواه وهو من أهل الأهواء. وقد سموا بذلك "أهل الأهواء" لأنهم قدموا أهواءهم ورجحوا آراءهم، وجعلوها مساوية للنصوص الشرعية، أو أعلىٰ منها درجة ودلالة، بل ربما جعلوا عقولهم وأذواقهم هي الأساس والأدلة الشرعية للتعضيد والاستئناس"[٢].

---

[١]– البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير حم السجدة ٣٥/٦.

[٢]– الغامدي، ١٧٣/١–١٧٤.

وكان السلف يسمونهم أهل الشبهات والأهواء، قال عمر بن الخطاب ﷺ:" إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا"[١].

ودأب أهل البدع يضعون أهواءهم أولاً ثم يطلبون لها الأدلة، وإذا وجدوا الأدلة على خلاف ما يعتقدون أولوها وحرفوها وصرفوها عن حقيقة معناها[٢]، وهذا عكس النهج الصحيح بوضع الدليل أولاً والانقياد له فيحكمون بعدما يستدلون.

وقد ذمّ الله سبحانه من يتبعون الهوى ويعرضون عن الحق الذي جاء به الشرع فقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ النجم: ٢٣، وقال في ذم من يعبدون الأصنام: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ" الجاثية: ٢٣، وقال في التحذير من إتباع الأهواء وأهلها: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُون﴾ الجاثية: ١٨، وقد برأ الله نبيه عن الابتداع مفرقاً بين الوحي والهوى فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ النجم: ٣-٤.

وقد جعل القرآن السبب الأكبر في عدم إتباع الكفار الرسول ﷺ هو إتباع الهوى فقال:﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ القصص: ٥٠، قال ابن عاشور: "إن لم يستجيبوا لدعوتك، أي إلى الدين بعد قيام الحجة عليهم بهذا التحدي، فاعلم أن استمرارهم

---

[١]- البيهقي، المدخل إلى السنن الكبرى، ص١٩١، وانظر قولاً لمسروق في جامع بيان العلم، ١٦٨/٢، وقولاً للزهري، ١٦٩/٢

[٢]- راجع الشاطبي ٢٢٣/١، ٢٤٩/١

على الكفر بعد ذلك ما هو إلا اتباع للهوى ولا شبهة لهم في دينهم... وقوله "بغير هدى من الله" الباء فيه للملابسة وهو في موضع الحال من فاعل "اتبع هواه" وهو حال كاشفة لتأكيد معنى الهوى لأن الهوى لا يكون ملابساً للهدى الرباني ولا صاحبه ملابساً له لأن الهدى يرجع إلى معنى إصابة المقصد الصالح"[١] بل جعل الهوى هو السبب في مواقف المنافقين مع المؤمنين فقال:﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ﴾ محمد: ١٦، وذكر القرآن كذلك بأن ضلال من يتبع الهوى لا يقتصر على نفسه إنما يتجاوز ذلك إلى إضلال غيره ﴿وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ الأنعام: ١١٩[٢].

واتباع الهوى لا يقتصر على الجهلة بالعلم فقط بل الأدهى ممن وصل إلى درجة الفتيا والحكم، ويتمسك بأهوائه المخالفة للسنة حرصاً وحفظاً على الشهرة أو طمعاً في كسب مادي أو تعنتاً في مواجهة الخصوم أو ما إلى ذلك.

وقد حكى الله إضلال أهل الكتاب بعد أن أنعم الله عليهم بالكتاب والحكمة، وهو ما حصل لأصحاب البدع من المسلمين، ومما يجعل ذلك في غاية الخطورة أن صاحب الهوى لا يرجع عن غيّه مهما جئته بالأدلة لأنها تمكنت من قلبه فلم يعد يستمع للهدى. ويكفينا في ذلك قول الرسول ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"[٣].

---

[١] ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ١٣٩/٢٠.

[٢]– راجع ، عزت عطية ، ص ٢٨٥.

[٣]– ابن حجر، فتح الباري، ١٥/١٧، وقال: أخرجه الحسن بن سفيان وغيره، ورجاله ثقات، وصححه النووي في آخر الأربعين.

ومن الهوىٰ الاعتماد علىٰ العقل المجرد في تفسير النصوص، والإسلام دين الوسطية فلا يريد منا أن نلغي عقولنا ولا نتبع الغلو فيه ونعتبر العقل مصدراً للتشريع، والتحسين والتقبيح بالعقل، فكل ما استحسنه هو الحق وإن خالف الكتاب والسنة، وبسبب ذلك كثرت البدع وأميتت السنن وحرفت النصوص.

ثالثا– اتباع المتشابه:

وهو من أسباب الابتداع الخطيرة ممن يبتغون الفتنة والتأويل كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾ آل عمران: ٧. فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ تلا الآية فقال: "فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمّىٰ الله فاحذروهم"[١].

وكان السلف الصالح يتورعون عن إلقاء الشبهات والكلام في المتشابه بل كانوا يشددون في ذلك حتىٰ إذا استفتاهم أحد عن مسألة سألوه هل وقعت أم لا؟

وقد بين العلماء معنىٰ المتشابه بأقوال كثيرة لا يتسع المجال لذكرها وملخصها أن المتشابه نوعان:

الأول: نوع منعنا من الخوض فيه أو السؤال عنه، والبحث فيه ابتداع مذموم وسبب من أسباب التفرق، وهو ما فسر به النبي ﷺ المتشابه في الآية، كما في حديث عائشة رضي الله عنها، وهو: ما لا سبيل إلىٰ العلم به، إما لعدم الإعلام به

---

[١]– رواه البخاري في كتاب التفسير، باب منه آيات محكمات.. ١٦٥٥/٤، ح(٤٢٧٣)، ومسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتذير من متبعه، ٢٠٥٣/٤، ح(٢٦٦٥).

من جهة النقل ولا سبيل إلى علمه بغيره، أو لكونه مما لا يمكن تصوره في النفس، لأنه لم يقع في دائرة الحس.

والثاني: لا يلج بابه إلا من تمكن في العلم، وتحققت له وسائل الاجتهاد، وهو ما سماه الراغب المتشابه من جهة اللفظ والمعنى، وسماه الشاطبي المتشابه الإضافي.

والابتداع إنما يدخل في هذا القسم من ناحية دخول بابه دون تأمل، فيكون داخلاً في القول بغير علم، أو من ناحية اتباع الهوى حيث يتمسك المبتدع بما يوافق هواه من المعاني المحتملة ويرجحه على ما سواه

رابعاً – التقليد والتشبه:

ومن أعظم الأسباب التي أدت إلى ذيوع البدعة وانتشارها بين العوام التقليد للشيوخ في الأصول والفروع، ويظهر هذا جلياً في بدع التشيع ومتعصبة أتباع المذاهب الفقهية، كاعتقاد العصمة للأئمة

فقول الإمام الشيعي مقدم عند المبتدعة على قول الله ورسوله، ويأخذونه مسلمة على أنها الطريق الوحيد الذي يقربهم إلى الله حتى وإن خالفت هدي الكتاب والسنة، فيعتقدون أنها من التشريع الذي خصّ الله به أصفياءه وأولياءه وعباده المقربين فيتبعونهم في كل ما يؤثر عنهم من قول أو فعل، وهذا أيضا يقع من بعض المتعصبين للمذاهب الفقهية حيث يعتقدون العصمة لفقهائهم، ويعتمدون على أقوالهم اعتماداً كلياً ولا يقبلون غيرها.. بل وصل الحال ببعضهم إلى أن يقول: "كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ"[1].

---

[1]– الرسالة في أصول الحنفية لأبي الحسن الكرخي، وتاريخ التشريع للخضري ص ٣٣٢، نقلاً عن ص ١٤٢.

وقد سرى هذا التقليد حتى وجد من يحفظ من متون الفقهاء وهو لا يحفظ بعض قصار السور، فضلا عن أن يحفظ شيئا من السنة، وبذلك انتشرت البدع وعمّت بين الناس وحالت بينهم وبين سماع الحق والهدى.

والتقليد المذموم في الفقه هو ذلكم التقليد الأعمى الذي يترك به الدليل ولو كان ظاهراً من الكتاب والسنة، وأما سؤال أهل العلم فهذا أمر مطلوب لا ينازع فيه أحد لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ النحل ٤٣. وقد ذم القرآن التقليد الأعمى باتباع الآباء والأجداد فقال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ الزخرف: ٢٢.

كما جاءت آثار السلف صريحة في ذم التقليد وأهله ، فهذا الشافعي رحمه الله يقول: "أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد"[١]. وقال الإمام مالك رحمه الله:"كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر، وأشار إلى قبر الرسول ﷺ"[٢].

ومثله التعصب للطائفة والتقليد فيها قاد إلى كثير من البدع، إذ أن أكثر فرق المبتدعة تضع لنفسها أصولاً وقواعد بدعية عقلية . فمن تقيد بهذه الأصول وسار عليها، فهو عندهم المؤمن، ومن خالفها فهو الكافر أو الفاسق، بل ربما جعل ذلك المبتدع طائفته هم أهل السنة والجماعة، ومن خالفها فهو من أهل البدع[٣].

والتقليد هو في الحقيقة من نتائج الجهل وآثاره، ومن الجهل ينشأ التقليد، والبدع تروج على المسلمين في سوق التقليد والجهل.. وقد وجد البعض أن كلاً من التقليد

---

[١]- سنن الدارمي، ٩٥/١، وجامع بيان العلم وفضله ١٩٦/٢.

[٢]- جامع بيان العلم وفضله ٩١/٢.

[٣]- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٤٦/٣، و١٥١/٤.

والبدعة له علاقة بالآخر لأسباب كثيرة[١]، فالصلة وثيقة بين البدعة والتقليد.

ويقع ضمن هذا الموضوع التشبه بغير المسلمين وتقليدهم[٢] فهو سبب من أسباب الابتداع، كما في حديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ:" الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، لتركبّن سنن من قبلكم"[٣]، ففي هذا الحديث أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل وبعض أصحاب محمد ﷺ من الذين دخلوا حديثاً في الإسلام أن يطلبوا هذا الطلب القبيح. وقد وقع في عصور مختلفة من تاريخ المسلمين أنهم قلدوا الكفار في عمل البدع .

خامسا – إتباع العادة والعرف:

وهذا من أسوأ أنواع التقليد، إذ يظن البعض أن الأمر إذا جرت به العادة بين الناس أو أصبح عرفاً عندهم، أو شاع وانتشر في الناس فإنه لا يقبل المعارضة ولا يتطرق إليه النقض.

---

[١]– راجع أسباب ذلك التشابه في: الحلبي الأثري، علم أصول البدع ص١٧٩–١٨٢.

[٢]– انظر السحيمي ص ١٤٧–١٤٨.

[٣]– أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٢١٨/٥، ح(٢١٩٥٢)، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، ٤٥٧/٤، ح(٢١٨٠)، وقال حسن صحيح، والطبراني في الكبير(٣٢٩٠، ٣٢٩٤) والآية من سورة الأعراف١٣٨.

بل مما يزيد الأمر سوءا أن يعتقد أن مجرد الاعتياد على الفعل وكونه أصبح شائعاً متعارفاً عليه يكسبه شرعية تجيز فعله، مع أنه من المعلوم الثابت في الشريعة أن (شيوع الفعل لا يدل على جوازه)، ومع ذلك فإن كثيراً من العامة وأشباههم يعتنقون كثيراً من البدع على أنها سنن بسبب عمومها وشهرتها واستدامة مبتدعيها لفعلها[١]، ويحتج هؤلاء على أنها بدعة حسنة، وكأنه أخذ صفة الإجماع الذي لا تصح مخالفته.

ومثال ذلك الأيام المخصصة بنوع من العبادات المبتدعة، فيحتج المبتدع بأن هذا الفعل اعتاده الناس منذ كذا وكذا، وجرى العمل به في الأقطار، وتلقاه الناس جيلاً بعد جيل، وهي من الحجج الواهية فضلا عن كونها مخالفة للسنة.

والاحتجاج بثبوت منفعة هذه البدعة – التي لا أصل لها – بالتجارب والأقيسة،

أن التصميم على إتباع العوائد وإن فسدت أو كانت مخالفة للحق، سبب من أسباب انتشار البدع[٢].

سادسا– الفتوى بغير علم:

لقد حذّر الله سبحانه وتعالى من القول بغير علم بآيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ٣٣، وقال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام: ١٤٤.

---

[١]– أبو شامة، الباعث على البدع، ص ٨٤، نقلا عن الغامدي ١/١٨٠.

وقد وردت أحاديث تحذّر من الفتوى أو الحكم بغير علم، وخاصة فيما يتعلق بالأمور الدينية، يقول ﷺ: "من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه"[١].

وقال ﷺ: " القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به...، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار"[٢].

ومن المعلوم أن القول بغير علم إضلال، وعلى من لا يعلم أن يقول: لا أدري، أو أن يسأل غيره، أو يطلب مهلة ليتبين وجه الحق، وكان ﷺ يسأل أحيانا فلا يجيب على أمل انتظار الوحي، والأمثلة على ذلك كثيرة من قبل السلف ﷺ.

فإذا مارس الجاهل العلم وأفتى في الدين وقع في البدعة قاصداً أو غير قاصد، وكان مبتدعاً بادعائه العلم وتعالمه أولاً، وبما استحدثه مما يخالف الشرع بعد ذلك، وانتشار ذلك سبب في قبض العلم، كما قال ﷺ "إنا الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"[٣].

---

[١]- رواه أبو داود ٣/ ٣٢١، والحاكم في المستدرك ١٢٦/١، وقال: على شرطهما، وابن ماجة ٢٠/١، والدارمي ح (١٦١).

[٢]- رواه أبو داود ٢٩٩/٣، وابن ماجة ح(٢٣١٥).

[٣]- رواه البخاري في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم..٥٠/١، ح(١٠٠)، ومسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه..٢٠٥٨/٤، ح(٢٦٧٣)، والترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ذهاب العلم، ٣١/٥، ح(٢٦٥٢) وقال حسن صحيح.

وقد يكون المبتدع من ذوي الفصاحة والبيان مع جهله بالعلم الشرعي، كما قال المصطفى ﷺ "إن من البيان لسحراً"[١]، وكان هذا حال كثير من المعتزلة، ومن البيان الذي يعتمد عليه أهل البدع الشعر وسائر صنوف الأدب مما يروق للسامعين ويستميل قلوبهم[٢].

سابعا- جلساء السوء:

إن مخالطة أهل الشر ومجالستهم والاستماع إليهم من الأسباب الخطيرة التي تؤدي إلى انتشار البدع وانتقالها إلى الغير وخاصة في قلة العلم وقلة الجهل، فتسري تلك البدع في قلوب من يجالسون أهل البدع والأهواء سريان النار في الهشيم وذلك لأنهم ليست عندهم الحصانة التي تحميهم من ذلك، وبمرور الوقت يعتاد عليها، وقد جاءت نصوص من الكتاب والسنة وآثار السلف في التحذير من مجالسة أهل الشر ومخالطتهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام: ٦٨. وقال: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً﴾ الفرقان: ٢٧-٢٩، والعضّ على اليد كناية عن الندامة .... وفيه إيماء إلى أن شأن الخُلّة الثقة بالخليل وحمل مشورته على النصح فلا ينبغي أن يضع المرءُ خلّته إلا حيث يوقن بالسلامة من إشارات السوء"٣

[١]- البخاري، صحيحه، كتاب النكاح، باب الخطبة، ح (٤٨٥١)، ١٩٤٩/٥، وأبو داود في سننه، باب ما جاء في المتشدق بالكلام، ح (٥٠٠٧)، ٣٠٢/٤.

[٢]- راجع الغامدي ص ١٨٣ وعزة عطية ص ٢٣٢ - ٢٣٦.

[٣]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٢/١٩.

وقد مثل الرسول ﷺ الجليس الصالح وجليس السوء فقالﷺ: "مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة"[١]، قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما[٢].

ويدخل ضمن ذلك احتفاء المبتدعة مع بعضهم وتعاونهم فيما بينهم وهذا سبب قوي في انتشار البدع[٣].

ثامنا- إشاعة البدع من أعداء الإسلام

وهذا السبب قد أغفله كثير ممن كتبوا في أسباب البدع، علماً أن لأعداء الإسلام أثراً كبيراً في انتشار البدع القولية والعملية والاعتقادية.

لقد واجه الإسلام منذ فجر الدعوة تيارات معادية كثيرة، حاولت صد الإسلام بشتى الطرق، ولما انتشر الإسلام بفعل الفتوحات قامت بعض الجهات التي فشلت في رد الإسلام عسكرياً - وانتصر المسلمون عليهم- باتباع طريقة أخرى غير المواجهة العسكرية وهو القضاء على الإسلام باسم الإسلام عن طريق تشويهه وصد الناس عنه، فتظاهروا بالإسلام ودخلوا مع أهله بنيات خبيثة، وكان من أوائل هؤلاء اليهود الذين كان قصدهم تفريق المسلمين وتشويه عقائدهم، وعن طريقهم ظهرت بدعة عبد الله بن سبأ اليهودي التي شقت صفوف المسلمين قديماً وحديثاً، وما أن دخلت جيوش المسلمين في فارس حتى ظهرت فرقة (الشعوبية)

---

[١]- أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب العطار والمسك، ٧٤١/٢، ح(١٩٩٥)، وكتاب الذبائح والصيد، ٢١٠٤/٥، ح(٥٢١٤)، ومسلم ٢٠٢٦/٤.

[٢]- ابن حجر، فتح الباري ٤/ ٣٢٤.

[٣]- الغامدي ١/ ١٨٣.

التي حاولت تشويه صورة العرب والمسلمين، وباسم الإسلام ظهرت حركات كثيرة لهم بدع كثيرة، المراد منها تحريف الدين والقضاء عليه، وهذا ما نجده في حركة الزندقة والباطنية وإخوان الصفا والقرامطة قديماً، وفي البهائية والقاديانية حديثاً، وكل هؤلاء لهم ارتباط بجهات غير مسلمة تمدّهم مادياً ومعنوياً، ومن علامات هؤلاء أنك تجدهم دائماً يعينون الأعداء على المسلمين ويحاولون كسر معنويات المسلمين، وقد أظهر هؤلاء في القديم والحديث بدعاً وخصوصاً في جانب العقائد تصل إلى حد الشرك والعياذ بالله.

المبحث الثاني- أضرار البدعة وآثار من منظور القرآن الكريم

لا شك أن للبدعة آثاراً سيئة وأخطاراً كبيرة تبدأ بالفرد والمبتدع نفسه، ثم تتجاوزه إلى الأمة كلها، ويكن عرض هذه الأضرار على هذا الاعتبار.

أولاً- أضرارها على الأفراد[١]: ويتمثل أبرز الأضرار فيما يأتي:

١- رد عمل المبتدع: أن عمل المبتدع مردود عليه قليلاً كان أم كثيراً، لأن البدع من المحدثات وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، ولا يمكن أن نتصور قبول عمل وصفه الرسول ﷺ بالضلالة، كما ورد في الأحاديث "فهو رد" فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال:" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"، وفي رواية مسلم:" من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"، وفي رواية البخاري "من صنع أمرا على غير أمرنا فهو رد"[٢]، وهناك أحاديث وآثار كثيرة جدا في ذم البدعة وصاحبها

.٢- بعد المبتدع عن الله لأنه أعطى نفسه حق التشريع وجعل نفسه نداً لله، والتشريع من حق الله سبحانه وتعالى، وكأنه نظر إلى الدين ناقصاً ليكمله، والله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ المائدة: ٣، كما أن الابتداع اتهام للنبي بالخيانة، والله شهد بالأمانة وصدق التبليغ كما مرّ ذكره، فمن كان بهذه الحال والصفة فهو بعيد كل البعد عن هدي الله سبحانه وتعالى.

---

[١]- راجع: القرني عائض، البدعة وأثرها في الرواية والدراية ص ٦٣.

[٢]- أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ٣٠١/٥، ح (٢٦٩٧)، وكتاب الاعتصام باب ٢٠، والبيوع باب ٦٠، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، ١٣٤٣/٣، ح (١٧١٨)، وأبو داود في السنة باب ٥، ابن ماجة في المقدمة باب ٢، وأحمد في المسند ١٤٦/٦.

٣- عدم قبول شهادته وروايته: فقد أجمع أهل العلم على عدم قبول شهادة الذي يكفر ببدعته، كالفرق الباطنية وغلاة الجهمية والفلاسفة الدهرية، واختلف العلماء في شهادة من لايكفر ببدعته، مع الاتفاق على رد رواية المستحل للكذب فالشافعي وغيره من السلف يقول: "أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية"[١]، وإنما رد شهادتهم وما شابههم من الفرق الضالة لاستحلالهم الكذب في الانتصار لمذاهبهم المنحرفة، قال العلماء من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول: المبتدع الذي يكفر ببدعته لا تقبل روايته بالاتفاق. وأما الذي لا يكفر بها فاختلفوا في روايته، فمنهم من ردها مطلقا لفسقه ولا ينفعه التأويل، ومنهم من قبلها إذا لم يكن ممن يستحل الكذب في نصرة مذهبه أو لأهل مذهبه، واختلفوا إذا كان داعية لبدعته فمنهم من قبلها ومنهم من ردها[٢].

٤- يضاعف له الوزر: فالمبتدع عليه إثم بدعته، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، لأنه ضال مضل، ضال في نفسه بما أحدثه من البدع، ومضل لغيره من ضعاف الإيمان، والله تعالى يقول: ﴿لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ﴾ النحل: ٢٥، فمضاعفة الإثم يترتب عليه مضاعفة الوزر، ولذلك استحق المبتدع مضاعفة العقوبة، فقد جاء في الحديث الشريف: "...ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم

---

[١]- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين ١/٧٥، والشهرستاني في الملل والنحل ١/١٧٩.

[٢]- راجع السحيمي صالح بن سعد، ص ١٧٥.

القيامة"[١]، ويؤكد ذلك ما رواه البخاري في قتل النفس حيث يقول ﷺ : "لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل"[٢].

ثانياً- أضرارها وآثارها على الأمة

لا شك أن أضرارها على الأمة أكبر أثراً، لأنها لا تخص الفرد بل تصيب الجماعات، ومن أهمها:

١- انحراف العقيدة:

لو تأملنا تاريخ الأديان السماوية السابقة وما وقع فيها من انحراف في العقائد حتى وصلت حد الكفر، لوجدنا أن البدع كانت الطريق الموصل إلى ذلك، مثل الغلو في العبادات و، وتحريف الكتب المنزلة في لفظها ومعناها مما أدى بهم إلى الكفر والإشراك بالله، فوصفوه بما لا يليق من الأبوة والبنوة وجعلوا له أندادا ونظراء. وكانت بدعة اليهود في التقصير والتفريط في الحق، وبدعة النصارى في الغلو والإفراط، فذم الله هؤلاء وهؤلاء، وسماهم المغضوب عليهم والضالين، ويعلل ابن تيمية ذلك فيقول:" فأما وسم اليهود بالغضب والنصارى بالضلال، فله أساب ظاهرة وباطنة وجماع ذلك: أن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم، فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه لا قولاً ولا عملاً، وكفر النصارى من عملهم بلا علم، فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله، ويقولون على الله ما لا يعلمون"[٣].

---

[١]- أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدي فاتبع أو إلى ضلالة، ٤٣/٥، ح(٢٦٧٥)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجة في اتباع السنة، باب من سن سنة حسنة أو سيئة٧٥/١، ح(٢٠٧)، والدارمي، ١٤٠/١، ح(٥١٢).

[٢]- البخاري، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ١٢١٣/٣، ح(٣١٥٧)، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب إثم من سن القتل، ١٣٠٣/٣، ح(١٦٧٧).

[٣]- ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٥-٦.

ولذلك حذّرنا الله ورسوله من متابعتهم، وأخبرنا الرسول ﷺ بما سيكون من متابعتهم فقال: "لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم، قالوا يارسول الله: اليهود والنصارى! قال: فمن؟"، وفي رواية: فقيل يا رسول الله كفارس والروم؟ قال: ومن الناس إلا أولئك"[١].

فأخبر الرسول ﷺ أنه سيكون في الأمة اتباع لليهود والنصارى، وفارس والروم في أمور كثيرة حتى تصل إلى شدة في المتابعة كما وصفها الحديث، وهذا ما حصل ويحصل فيما نرى من تقليد المسلمين لهم في كل شيء، كما حصل أن بعض المبتدعة وصلوا إلى حد الكفر مع ادعائهم الإسلام، كبدع العقائد المعروفة من المشبهة والمعطلة والجبرية والقدرية في القديم، وفي بدعة القاديانية والبهائية.

ولا شك أن منهم من ضلّ على علم فأشبه اليهود، ومنهم من أضلهم علماؤهم فأشبه بذلك النصارى.

فمن تشبّه من هذه الأمة باليهود والنصارى في إفراطهم أو تفريطهم فقد شابههم، كالخوارج المارقين من الإسلام الذين خرجوا على المسلمين، وكان قتالهم بأمر من الرسول ﷺ كما ثبت في الأحاديث، وغيرهم من الفرق التي ذكرتها[٢].

وقد يغتر البعض بما لدى هذه الفرق من الطقوس وبعض العبادات الإسلامية، فهي لا قيمة لها بجانب ما لديهم من تفريط فهي كالسراب الذي يظنه الرائي ماءً وهو ليس بشي.

٢- الصد عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

[١]- البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر في بني إسرائيل، ١٢٧٢/٣، ح(٣٢٦٩)، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: لتتبعن سنن من قبلكم، ٢٦٦٩/٦، ح(٦٦٨٨). ومسند أحمد، ٨٤/٣، ح(٨١١٧).

[٢]- راجع: السحيمي ص ١٥٥.

وذلك لأنهم اشتغلوا بالجدل والاعتراض فضعفت همتهم عن تحصيل العلم الواجب، يقول أبو شامة:

"ثم تفاقم الأمر حتى صار كثير منهم لا يرون الاشتغال بعلوم القرآن والحديث، ويرون أن ما هم عليه هو الذي ينبغي المواظبة عليه، فبدّلوا الطيب خبيثاً كما قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ البقرة: ١٦، "[١].

ويندرج تحت ذلك التحاكم إلى العقل والتهاون بالنقل، فهم مقصرون في علم الرواية معرضون عن الحديث متعمقون في الكلام ودقائقه.

ويترتب على الصد عن الكتاب والسنة والقول على الله بغير علم، وهو ما حذر منه الله تعالى فقال: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ الإسراء:٣٦، وذلك لأن اتّباع الظن والتخمين في شرع الله هو باب إلى الضلال، بل وصفه الله من أكثر الأمور ظلماً فقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام: ١٤٤، والذي يتقول على الله يحلل ويحرم بهواه وينسبه إلى الله كما فعل المشركون في الجاهلية حين حرمّوا ونسبوه إلى الله، "ونسبة الباطل إلى الله تعالى عن ذلك: غرر وخديعة لعامة الناس، ولو كانت نسبة قول هذا المنقول إلى نفسه لكان أيسر، ولكنه جعل هذا القول من الشرع.."[٢].

وعندما عدد الله أموراً محرمة جعل أشدها التقول على الله فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ٣٣، وفي كونه أشد

---

[١]- أبو شامة، الباعث على إنكار البدع والحوادث، ص ٥٧.

[٢]- القرني عائض، ص ٣٥.

المحرمات لأنه يمتنع الكذب على الله، ونسبته إلى ما لا يليق به، وتغيير دينه وتبديله، ... فليس في أجناس المحرمات أعظم وأشد إثماً، وعليه أسست البدع والضلالات، فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم..[١].

وقد حذّر الله سبحانه من نسبة من يتقول بغير علم إليه فقال: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبِ﴾ النحل: ١١٦، أي "لا تسموا ما لم يأتكم حله ولا حرمته عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم حلالاً ولا حراماً فتكونوا كاذبين على الله تعالى لأن مدار الحل والحرمة ليس إلا حُكْمَهُ سبحانه" ٢

ومن أحاديث رسول اللهَ ﷺ في ذلك قوله: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا"[٣]، وعلى هذا حرص السلف على حفظ العلم واستحضاره والاستدلال به ونشره ليقطعوا الطريق على المبتدعة.

٣- إماتة السنن ومضادتها للشريعة المطهرة

كلما ظهرت بدعة أماتت سنة من السنن، لأن البدعة أساسا ما ظهرت إلا بعد ترك سنة، وما أشيعت إلا بعد تخلّي الناس عن السنة الصحيحة، وفساد نفوسهم، فالبدعة كالعلامة الدالة على ترك طريق السنة[٤].

---

[١]– السحيمي، ص ١٥٧–١٥٨.

[٢]– الآلوسي، تفسيره، ٢٤٨/١٤.

[٣]– البخاري، كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم١/٣٣، ومسلم في كتاب العلم، ح (٢٦٧٣).

[٤]– الواعي توفيق، البدعة والمصالح المرسلة، ص ٢١٠، نقلاً عن القرني عائض ٦٣.

وكما قال القائل: ما رأيت إسرافا إلا وبجانبه حق مضيع، إذا رأيت إسرافاً في جانب لابد أن تجد تقتيراً في جانب آخر، فالإنسان إذا وضع طاقته في البدعة فلا بد أن تنحسر هذه الطاقة عند السنة لأن الإنسان محدود الجهد[١]، وطبقاً لهذا القانون تجد المبتدعة ينشطون في البدع، وفي أمور السنة يضعفون ويفترون.

٤- تفريق الأمة وتمزيق وحدتها

وهي من أكبر الأخطار التي أصابت الأمة بسبب البدع، حتى صارت الأمة شيعا وأحزاباً يعادي بعضها بعضا ويستحل بعضهم دماء بعض، وتنتشر بينهم العداوة والبغضاء، مما يكون منفذاً لأعداء الإسلام للقضاء عليهم بسبب هذا التفرق، والآيات القرآنية في ذم التفرق كثيرة سبق ذكرها عند الكلام عن ذم البدعة ومنها قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٩.

والتفرق نتيجة حتمية للبدع، وذلك لأن أهل البدعة ينتصرون لبدعهم ومحدثاتهم، الأمر الذي يحتم وجود من يقوم بالانتصار للسنة والذب عنها وتخليصها من شوائب البدع والخرافات، ومن ثم ينشأ الصراع بين أفراد الأمة ويصل بهم الحال إلى تكفير بعضهم بعضاً وذلك عن طريق الجدل والخصومات، بل ويضرب بعضهم رقاب بعض.

وذلك لأن الوقوف عند السنن يجمع الأمة على كلمة واحدة، ويجعلها صفاً متراصاً... لأن السنة واحدة والبدع لا تنتهي، والحق واحد ولكن الباطل ألوان، صراط الله واحد ولكن سبل الشيطان كثيرة جداً[٢]، ولذلك جاء في حديث ابن

---

[١]- المصدر السابق ص ٤٢.

مسعود ﷺ أنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: "هذا سبيل الله" ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال: "هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾ الأنعام: ١٥٣، ولذلك لما كانت الأمة وراء السنة كانت كلمتها واحدة، ولما ظهرت الفرق انقسمت الأمة إلى أكثر من سبعين فرقة، بل كل فرقة انقسمت إلى فرق، وابتدعت بدعا بعضها في العقائد تصل إلى الكفر، ومنهم من قال في ذات الله وشبهوا الله بخلقه وهم المشبهة والمجسمة، ومنهم .. ومنهم الذين كفّروا المسلمين واستحلوا دماءهم مثل الخوارج رغم تعبدهم، وظهر المتصوفة وجاءوا بأقوال ما أنزل الله بها من سلطان، مثل الاحتكام إلى الذوق لا إلى الشرع، ومما جاءوا به: الحقيقة والشريعة، فأهل الشريعة ينظرون إلى الظواهر وأهل الحقيقة يعرفون الأسرار والبواطن[١].

فلو تركت الأمة للبدع لا يمكن أن تجتمع أو يلتئم لها صف، إنما تجتمع لو وقفت خلف رسول الله ﷺ، واتبعت المحكم من كتاب الله وسنة رسوله ولا مانع بعد ذلك أن تختلف في الفروع، فهذا الاختلاف لا يفسد الأخوة الإسلامية، ولا يمنع الوحدة الإسلامية، فالصحابة اختلفوا في الفروع ولكنهم ظلوا إخوة وظلوا مسلمين.

وقد حذر الله من الفتن وبين أن خطرها يعم إذا أهمل المسلمون واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الأنفال: ٢٥.

وحذّر الرسول ﷺ المسلمين مؤيدا للقرآن بعدم اتباع الضالين كما مرّ في الأحاديث سابقا، والمسلم يكرر في الصلاة ١٧ مرة في اليوم والليلة ﴿اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾

---

[١]- المصدر السابق ٤٢- ٤٣.

الفاتحة: ٦-٧، وحين وقعت البدع بين المسلمين في الاعتقاد وفي الأقوال والأعمال، أدت إلى مزالق خطيرة في الانحراف عن منابع الدين، وأدت إلى الانفصام بين المسلم ومصادره في التشريع.

٥- تشويه محاسن الإسلام

الدين الإسلامي كله محاسن، ولكن البدع تشوه الدين وتعكر صفوه، وخصوصاً إذا كانت هذه البدع من الخرافات والأباطيل التي تصادم العقل السليم، وتجعل أعداء الإسلام والمسلمين يسخرون من الدين ظناً منهم أن تلك الخرافات من الدين والدين منها براء.

ويتجلى هذا فيمن يصور الدين تصويراً يأباه ما للدين من جمال وجلال، وكثيراً ما تنشر البدع وتأخذ مكانة الدين في النفوس، وتصير هي الدين المتبع عند الناس وبقدر ذيوعها يكون إندراس الدين[1].

وهذا التشويه يكون سبب في إعراض الناس عن الدين لأنهم يظنون أن هذا هو الدين الحقيقي فيتهم الإسلام بأنه دين الأساطير والخرافات، يقول الشيخ شلتوت:" أما ما يصيب الدين نفسه من الابتداع فهو خفاء كثير من أحكامه وتشويه جماله:

والأول: سبب من أسباب اندراس الشرائع.

والثاني: سبب من أسباب الإعراض عنها، وعدم احترامها"[2].

فمن يتأمل البدع والخرافات التي ألصقت بالدين والتي لا يستطيع أن يميزها غير المسلم فإنه لا يفكر في الدخول فيه لأنه يحكم على الإسلام من خلال

---

[1]- الحلبي الأثري ص ٢٨٧.

[2]- شلتوت محمود، البدع أسبابها ومضارها، ص ٥٧-٥٨.

المسلمين وتصرفاتهم وبذلك تكون البدعة من هنا عائقاً في نشر الإسلام بل وصد الناس عنه.

٦- الوقوع في الغلو وتعسير الدين

الدين جاء ميسرا للناس، والمبتدعون يخرجون بهذا الدين عن طبيعته السمحة الميسرة، فهم يشقون عليهم ويكلفونهم فوق طاقتهم، وكأنهم يريدون إعادة آصار الأديان السابقة وتكاليفها المرهقة، وقد ورد وصف الرسول في القرآن في قوله تعالى﴿: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ الأعراف: ١٥٧، ومن أدعية القرآن في خواتيم البقرة ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ البقرة ٢٨٦، ومن هذه التكاليف في مجال الدعاء وصيغ الصلاة على الرسول ﷺ حيث نجد أناساً يضعون كتباً في الصلاة والسلام على النبي ﷺ وهي صيغ متكلفة لا يفهمها العامة، وهذا شأن أكثر الأوراد والأحزاب، ويكفينا ما ورد في القرآن والسنة.

وهكذا تكون النتيجة أن الناس يستثقلون تكاليف الدين ويضيقون بها ذرعاً.[١]، والدين يدعو دائماً إلى الوسط بين الغلو والتقصير، والله سبحانه جعل التكاليف الشرعية بمقدور كل إنسان، ولم يضعها من أجل طائفة تريد التضييق والعنت على نفسها، ومن المعلوم أنه ما غلا أحد في جانب إلا وقصّر في جانب آخر.

والغلو داء أصاب الأمم في القديم ومنهم اليهود والنصارى، وجاءت نصوص كثيرة تذم الغلو والتعصب داعية إلى الوسط، والوسطية هي العدل، وقد جمع

[١]- راجع: القرضاوي، ص ٣٢- ٣٦.

الرسول ﷺ محاسن الوسط بقوله:" خير الأمور أوسطها"[١]، ومن الوسط اليسر وعدم التكلف والتعمق في الأمور، وفي قصة البقرة ما يدل على ذلك، يقول ابن القيم في قصة بني اسرائيل وذبحهم البقرة: "وفيه أنه لا ينبغي مقابلة أمر الله تعالى بالتعنت، وكثرة الأسئلة، بل يبادر إلى الامتثال، فإنهم لما أمروا أن يذبحوا بقرة كان الواجب عليهم أن يبادروا إلى الامتثال بذبح أي بقرة"[٢]

٧- الحيرة والاضطراب لالتباس الحق بالباطل

ومن أضرار البدعة أنها سريعة العدوى والانتشار تورث الحيرة والاضطراب لسامعها إذا لم يكن على بصيرة من دينه، يقول الشاطبي: "كذلك المبتدع إذا أورد على أحد رأيه وإشكاله فقلما يسلم من غائلته، بل أنه يقع معه في مذهبه ويصير من شيعته، وإما أن يثبت في قلبه شكاً يطمع في الانفصال عنه، فلا يقدر"[٣].

ومن هنا كانت مخالطة أهل البدع لغير الراسخين في العلم ضرر عظيم ترك في الأمة شراً مستطيراً، ومن هنا جاء نهي السلف الصالح عن الاستماع للمبتدعة أو الجلوس معهم[٤]، يقول ميمون بن مهران: "لا تصغين سمعك إلى ذي هوى، فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك من هواه"[٥].

وعادة الذي يدعو إلى أمر لا بد وأن يستعمل كل وسائل الإقناع، ولذلك نجح بعضهم في إدخال كثير من البدع بزخرفة الكلام وتنميقه.

---

[١]- رواه السمعاني في ذيل تاريخ بغداد عن علي ﷺ مرفوعا، والعجلوني في كشف الخفا ١/ ٣٤٦.

[٢]- ابن القيم، إغاثة اللهفان ٢/٣٩٢.

[٣]- الشاطبي، الاعتصام ٢/ ٢٧٧.

[٤]- القرني عائض، ص ٥٩.

[٥]- ابن كثير، البداية والنهاية، ٩/ ٣١٥.

وإذا ما دخل المرء في البدعة اختلطت عليه الأمور والتبس عليه الحق بالباطل، واستمرأ الجدل والخصومة ولو في توافه الأمور، واستعظم الصغير، واستصغر العظيم، فهم يستحلون قتال المسلمين وأعراضهم وأموالهم ويحرمون قتل البعوضة حتى التبس عليهم الأمر وحلّ بهم ما حل بأهل الكتاب فتقربوا إلى الله بما لا يرضاه، ويجادلون فيه، ويصرفون به عن طريق الحق والرشاد، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ آل عمران: ٧١، ويقول تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ الحج: ٨-١٠.

٨- الكذب في الرواية، وكراهيتهم لأهل الحق

إن أهل البدع لا يتورعون في التزوير والكذب على الله ورسوله، وربما ينتحلون الأحاديث الموضوعة تأييدا لبدعهم، في الوقت الذي يردون النصوص الصريحة الصحيحة التي تنقض أقوالهم وترد عليه وهم لايرون هناك فائدة من علم الإسناد الذي قال عنه ابن المبارك رحمه الله: "الإسناد من الدين، ولولا اُسناد لقال في السنة من شاء ما شاء"[١].

وأكثر المبتدعة لا يهتمون بالحديث وعلومه كما لا يهتمون بمنهج السلف في فهم القرآن الكريم بل يتعسفون في فهم النصوص ويلوون أعناقها كي توافق معتقداتهم.. لذا فهم أكثر الناس افتراءً على رسوله القائل: "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"[٢].

---

[١]- مقدمة صحيح مسلم، ١٥/١.

[٢]- سبق تخريجه.

ومن أعظم مخاطر البدعة وآثارها أن أهل البدع ومروجيها يكرهون الحق وأهله ومتبعي الهدى، فيصفونهم بأوصاف لا تليق بهم، وهم أحق بتلك الأوصاف كما يقول المثل: "رمتني بدائها وانسلت".

وما هذه الكراهية إلا لعلمهم أن السنة تمحق البدعة، وأن العلم بها يعين على التفريق بينها وبين البدعة، بإذن الله[1].

٩- تعطيل مواهب الأمة وقواها

فهي تصرفها عن مهمتها الأصيلة في تبليغ هذا الدين، وتصد عن كتاب الله وسنة رسوله بالانشغال بالرد والجدل والاعتراض، كما تصرفها عن الابتكار في شؤون الدنيا لأن الناس إذا بذلوا جهودهم في الزيادة على الدين لن تبقى لهم طاقة للعمل للدنيا والابتكار فيها، وإذا تذكرنا تعريف البدعة وهو "طريقة في الدين مخترعة.." فإذا كان الإنسان مشغولاً باختراعه في الدين فلن يخترع في الدنيا، وإنما الواجب أن يكون اختراعه فيها، وقد كان الدافع عند الأوائل الاختراع في الدنيا لأجل الدين، فمن ذلك علم الجبر عند الخوارزمي اخترعه لحل مسائل معينة في الوصية والميراث، وكانت علوم الدنيا عندهم متصلة بعلوم الدين، فابن رشد صاحب كتاب الكليات في الطب كان قاضياً وهو صاحب كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه).

فالعلماء وقفوا عند النص والسنن في أمور الدين، وابتكروا واخترعوا في أمور الحياة الدنيا، وهكذا فإنكار الابتداع في الدين معناه توفير طاقات الناس للابتكار في أمور الحياة.

---

[1]- راجع السحيمي ص١٦١.

الخاتمة

حاول البحث تتبع أسباب البدعة واستقراءها من الكتاب والسنة، كما حاول استقصاء الأضرار للبدعة وآثارها السلبية وتوصل البحث للنتائج الآتية:

١- إن البدعة بالمعنى الشرعي كلها مذمومة، ولها حكم عام "كل بدعة ضلالة"، أما على المعنى اللغوي فهناك بدعة حسنة، وبدعة سيئة.

٢- دلت نصوص القرآن الكريم مع ما يؤكدها من السنة النبوية على وجوب التمسك بالسنة واتباعها، فالخروج من الاتباع يوقع في الابتداع، كما دل على ذمها آثار السلف الصالح فضلا عن العقل الذي يرى أن البدع استدراك على الشريعة ورميها بالنقص والتقصير.

٣- لظهور البدع أسباب كثيرة ومتعددة، ومتشابكة، في مقدمتها الجهل بنصوص الكتاب والسنة لعدم معرفة المبتدع لأساليب البيان وقصور فهمه باللغة، ومن ناحية السنة جهله في التمييز بين الأحاديث المقبولة والمردودة، وجهله بمصطلح الحديث دراية ورواية، وبمكانة السنة، وكذلك الجهل بمقاصد الشريعة، واتباع الهوى المضل، واتباع المتشابه، والتقليد بأنواعه، واتباع العادة والعرف، وسكوت العلماء عليها، والفتوى بغير علم، وصحبة السوء، والأدهى من ذلك البدع المتعمدة لتشويه صورة الإسلام.

٤- للبدع أضرار وآثار على مستوى الفرد والمجتمع، فمن الأول: رد العمل، وحجب التوبة، والبعد عن الله وتوفيقه، ورد شهادته وروايته، مع مضاعفة الوزر، أما أضرارها على المستوى الجماعي: فانحراف في العقيدة، ثم الصد عن كتاب الله، وإماتة السنة، فما ظهرت بدعة إلا وأماتت سنة، كما تؤدي لتفريق وحدة الأمة وتمزيقها، وهي تشوّه محاسن الإسلام، وتوقع في الغلو بالدين وتعسيره، والبدعة

تورث الحيرة والتباس الحق بالباطل، وتؤدي إلى ضلال الأمم، وهي سبيل الكذب وكراهية الحق وأهله، وأخيرا تؤدي إلى تعطيل مواهب الأمة.

المصادر

الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٣٩٩هـ.
الآجري، محمد بن الحسين، الشريعة، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتب، ١٤٠٣هـ.
الآلوسي، شهاب الدين محمود، تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت)
ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناجي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
ابن تيمية، مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحم بن محمد ابن قاسم العاصمي وابنه، الرياض: إدارة البحوثالعلمية والإفتاء ، ١٣٩٨هـ.
ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٤هـ.
ابن الجوزي، الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ١٣٨٦هـ.
ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصر: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٦٤م.
ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: سيد إبراهيم، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٢م.
ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، بيروت: دار الفكر.

ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة.

ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، بيروت: دار الفكر، ط ٢، ١٩٧٧م.

ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتب.

ابن كثير،مختصر تفسير ابن كثير لمحمد علي الصابوني، بيروت: دار القلم، ط ٥، ١٩٨٦.

ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر.

أبو شامة الشافعي، عبد الرحمن بن اسماعيل، الباعث على إنكار البدع والحوادث، القاهرة: مكتبة ابن سينا، ٢٠٠٠م.

أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٥هـ.

البغوي، الحسين بن مسعود، شرح السنة، تحقيق: زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط، مصر: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٥م.

الحلبي الأثري، علي بن حسين، علم أصول البدع، الرياض: دار الرايئة، ط ٢، ١٤١٧هـ.

الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، تحقيق: محمد سعيد الخطيب أوغلي، دار إحياء السنة.

الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق: دار الفكر، ط٢، ٢٠٠٣م.

السحيمي، صالح بن سعد، تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار، الرياض، دار ابن حزم، ١٩٨٩م.

السعدي، عبد الملك عبد الرحمن، البدعة في المفهوم الإسلامي الدقيق، العراق/ رمادي، مطبعة النواعير، ١٩٩٢م.

الشاطبي، أبو اسحاق إبراهيم بن موسى، الاعتصام، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٠م.

الشاطبي، أبو اسحاق إبراهيم بن موسى، الموافقات، تعليق: عبد الله دراز، بيروت: دار المعرفة، (د.ت).

الشافعي، محمد بن أدريس، الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د.ت)

الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: محمود شاكر، مصر: دار المعارف، ط ٢.

الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد، الحوادث والبدع، تحقيق: محمد الطيالسي، جدة: دار الأصفهاني.

العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، بيروت: دار الكتب العلمية.

عزت علي عطية، البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها، القاهرة: دار النهضة، (د.ت).

علي لن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: الألباني، دمشق: المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٣٩١هـ.

علي محفوظ، الإبداعه في مضار الابتداع، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.

الغامدي، سعيد بن ناصر، حقيقة البدعة وأحكامها، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٢هـ.

الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، لبنان: دار المعرفة.

القرافي، شهاب الدين، الفروق، بيروت: عالم الكتب، (د.ت).

القرني عائض بن عبد الله، البدعة وأثرها في الدراية والرواية، بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٣م.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار، بيروت: دار المعرفة، ط ٢، (د.ت).

محمد الخضر حسين، رسائل الإصلاح، مصر: المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠١١م.

محمود شلتوت، محمد الخضر حسين، تحقيق: علي بن حسين الحلبي، السعودية: مكتبة ابن الجوزي، ١٩٨٨م.

الواعي توفيق، البدعة والمصالح المرسلة، الكويت: دار التراث، ١٤٠٤هـ.

كتب تخريج الحديث